

مجلة علم النفس

عدد ١

يونيو — سبتمبر ١٩٤٩

مجلد ٥

الإشاعة

بقلم

الأدميرال إي آر كاله الحرب أحمد شوقي عبد الرحمن بك

الإشاعة هي النوادر والطرائف التي تتناقلها الأفواه دون التثبت من صحتها ، وهي من أخطر أسلحة « الحرب السيكلوجية » بل أشدها خطراً . ولقد استغلها الموهوبون في كل العصور من قبل أن يعرف « علم النفس » . فإن « جنكيزخان » الذي ظن المؤرخون أنه أحرز انتصاراته الكبرى بجموع لا تحصى من الفرسان التتار الأوابد ، واكتسح الممالك بكثرة عديدهم كان في الواقع أول قائد مظفر استغل الإشاعة للتحويل في ضخامة قواته والترويع بيأسهم ووحشيتهم . وقد دلت الأبحاث الحديثة في جلاء ووضوح على أن البلاد التي صدرت عنها قواته لم تكن لتنتج هذا العدد العديد من الأفراد . وكثير من الأوربيين لم يدركوا حتى اليوم ما كانت عليه قوات المغول من قلة العدد ، وما توافرها من وسائل خفة الحركة ، ونظيق أسلوب جريء من الحرب السيكلوجية دعماته بث الإشاعة في محيط الأعداء وجعل جواسيسهم أنفسهم يذيعونها بين بني قومهم ، فيز بذلك أقوى الأصول الفنية في « الدعاية السوداء » التي بلغها الألمان والروس والأمريكان في الحرب العالمية الثانية وفي أعقابها . واستطاع جنكيزخان باستخدام الإشاعة التي هي أقوى أعمدة « الروح المعنوية المحجوبة » أن يحارب في جبهتين في آن واحد في الصين ضد أسرة « صانج » وفي بروسيا ضد

الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، وذلك على امتداد الآلاف من الأميال وأن يفوز بالظفر . وكانت طريقته المثلى أن يجعل جواسيس الأعداء أنفسهم وسطاءه غير المأجورين في بث الذعر في أقوامهم وترويع قواتهم . قال أحد جواسيس سلطان « خوارزم » بعد أن عاد من مهمته في التجسس على المغول « إن جنود جنكيزخان تبدوا كأسراب الجراد لا حصر لها إنهم لا يتحدثون في شيء غير الحرب والدماء ويبدو منهم التحرق شوقاً إلى الدخول في غمرة الوغى حتى إن ضباطهم يكابدون عناء في كبح جماحهم ... » وإذا كان القواد الملهمون في الماضي قد استخدموا الإشاعة دون أن يلموا بما كتب « فرويد » أو « بافلوف » فإن العصر الحديث قد وضع في متناول العسكريين كافة « علم النفس » ودراساته المتنوعة التي تمكنهم من أن يحصلوا على نفس النتائج التي أحرزها العباقرة والملهمون بوحى العبقرية والإلهام . فإن « السيكولوجي » يستطيع أن يوجه نظر الجندي إلى عناصر العقل الإنساني التي لا يراها . ويريه كيف تتحول الشهوة إلى حنى ، والابتكار والنشاط الذاتي إلى جبن ، والاحتكاك إلى عدم ثقة ، والهوى إلى غضب .

فالحزيمة في الحروب حالة عقلية . قال المارشال « فوش » : « إن المعركة التي يحرز النصر فيها القائد هي التي لا يعترف فيها إلى نفسه أنه هزم » . ولذا فإن الغاية من قتل العدو وتكبيده آلاماً هي إرغامه على التسليم والاستسلام أو تبديل حالته العقلية بتحويل إصراره على المقاومة إلى الإذعان وقبول الحزيمة - ولا سبيل إلى ذلك إلا بشن الحرب السيكلوجية بجانب الحرب المادية ، بحيث يكون هدفها الأول هو هيشة العدو لقبول التسليم . وذلك بمحاولة التأثير في رأيه بالقول والحجة والإيحاء والتتوير والتضليل وغير ذلك من الوسائل غير المباشرة بقصد القضاء على معنويته إلى الحد الذي يجعله يصبح فيعتقد أن الحرب شر أنكى من الحزيمة .

ولقد جند الألمان عقب الحرب الماضية علماءهم وبخاصة في « علم النفس » وأنشأوا هيئة أركان حرب للشئون السيكلوجية إلى جانب القيادة العامة العسكرية وانقسمت إلى عدة فروع تخصصية منها : قسم الروح المعنوية الهجومية ، والروح المعنوية الدفاعية . وهدف الأولى هدم روح العدو المعنوية وهي تناول « الإشاعة والدعاية والفوارق القومية في الاتجاهات النفسية والدوافع » . أما الروح المعنوية الدفاعية فنحتمس بالروح المعنوية بين الجنود والمدنيين الألمان .

محلنا حذو الألمان كل من الدول المحاربة الأخرى : أمريكا وروسيا وبريطانيا

واليابان واستغلوا الحرب السيكلوجية بوجه عام والإشاعة بوجه خاص إلى أقصى الحدود . وما زالت الصحف تترى اليوم بأنباء الإذاعات على الموجات القصيرة من أمريكا وبريطانيا من جانب ، وروسيا من جانب آخر ، وتردد الإشاعات على مختلف أنواعها .

وتنتشر الإشاعة على الرغم من إفتزارها إلى ما يؤيد محبتها حيث إن معظم الناس الذين يسمعونها تحلوهم الرغبة في ترديدها وإذاعتها مع أن المفروض أن المرء لا يتقل شيئاً يفتقر إلى إثبات وبخاصة إذا كان يتعلق بأمر حيوى . ولكن ناقل الإشاعة يرددتها لأنها صادفت هوى في نفسه . وقدبما قالوا :

قد تنجح المقالة في المرء ، إذا صادفت هوى في القواد
فالإشاعة التي تحمل في طياتها ما يؤيد رغبة أو ضغينة أو تحقق سبباً للخوف
أو تنظري على ما يبعث على الأمل تكون موضوعاً مستحباً يطيب ترديده بجانب
ما ترضى عليه حماسة الناقل وعاطفته من القوة والبيان .

وعلى هذا فإذا ذاعت الإشاعات في سرعة ، وعلى نطاق واسع ، كان في ذلك
الدليل أقوى الدليل على أن هناك كثيرين مشتركين في الشعور بالبعث أو
الخوف أو الأمل . وإن كان بعضهم لا يؤمن بصحة الإشاعة ، إلا إنه في نقلها إنما
ينفس عن عاطفته كان يحتمل أن تظل مكبوتة لولا ظروف الإشاعة . إنه يحس بأن
لا ضير عليه ولا جرم إذا نقل نياً لا ظل له من الصحة عن شخص يكرهه مثلاً
ولا يستطيع أن يجاهره بالعداء ، فهو لم يكن مبتدعه ، أو مخترعه ، وإنما هو ناقل .
« وناقل الكفر ليس بكافر ! » إنه في الواقع يشعر بالغبطة والارتياح حين يصفى إلى
التبأ . وحين ينقله إلى غيره : لأنه بذلك يتخلص من بعض شعور العداوة الذي يحز في
نفسه نحو هذا الشخص المعين ...

وغنى عن البيان أن هذا النوع من الإشاعات والذي يسمونه « شائعات الكراهية »
أو « دق الإسفين » من الخطر بأعلى مكان . إذ تحرك الخصومة والرغبة بين الطوائف
المتنلفة في الأمة نفسها ، وبين الأحزاب السياسية فيها . بل وبين الحلفاء وبعضهم
البعث . فإذا كره أحدهم طائفة أو حزباً أو حليفاً كان على أتم استعداد لتصديق
الإشاعة ونقلها بدوره إلى غيره . وهكذا تستخدم هذه الشائعات بغية تحديد الشخص
أو الجماعة التي ينصب عليها غضب الآخرين أو « كبش القداء » .

وتنتشر الإشاعات أيضاً بسبب قلق المواطنين . واضطراب الأفكار لأن الناس

يخافون مثلاً من أشياء معينة . ولذا فهم مهيبون مبدئياً لتصديق الإشاعات التي نقال
عن هذه الأشياء .

ففي الحرب يطغى الخوف على قلوب الآباء ، والأمهات ، والمخطوبات بسبب
لهفهم على أعزائهم الغائبين في الميدان . فإذا حدثت معركة مثلاً لم تنتشر حقائقها
مفصلة . تنتشر القصص عنها في صورة إشاعات مبالغ فيها ، ولا يحاول إنسان التحقق
من صحتها لأنه يخاف من الوقوف على الحقيقة الصريحة . ويسمى هذا النوع الذي
يصدر عنه الخوف « إشاعات البعيع » .

والنوع الثالث من الإشاعات ينتشر لأن الإنسان في حالة القلق ، والتوتر النفسى
يمسك بالقشة إذا وجدها مؤتية لغرضه . فإنه يبنى نفسه بالأمال المعسولة . والإنسان
تلد له الأمانى وقد يما قيل :

« منى إن تكن حفا تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً »

وهذه الإشاعات تسمى « إشاعات الأحلام » وتنتشر هذه لأن الناس تجد
فيها رَوْحاً ، وغبطة ، وسعادة .

وبعض الإشاعات تظهر في الصحف علانية وتذاع في « الراديو » صراحة
ويذكرون عنها أنها مجرد إشاعة فإذا لم تنطرق إليها المبالغة بتكرار نشرها ، وإذا داوم
المديعون على إظهارها بأنها إشاعة لا غير فإن أثرها يكون قليلاً .

وهناك إشاعات مسترة هامة تتناقلها الألسن تحت عهد السرية والكتمان ولكنها
قابلة للنمو حتى تصل إلى حجم خيالى . وراوئها لا يحسن بتبعه إزاءها بل قد يترك
لشهوته ، أو خوفه ، أو حنقه العنان فيلهو بها الخيال كيف شاء .

وقد يتقبل المرء الإشاعة بصورة سلبية . أى لا يابه لها في ظاهر الأمر . ولكنها
تخلف أثرها في نفسه ، فينمو هذا الأثر ببطء حتى يفتك بالثقة ويقوض دعائمها .

ولما كان ثقل الإشاعة - كما أسلفنا - يشقى غليل الناقل أو يئى ببعض حاجته
فالإشاعات إذاً هي دليل بارز على قوة الروح المعنوية ، والإشاعات المتشائمة القائمة
التي نتحدث عن الكوارث ، والمزائم ، والتحيانات أو بعبارة أخرى « إشاعات البعيع » .
ودق الإسفين « ما هي إلا ريشة في مهب الريح طائرة تدل على أن من يثقفونها ،
قلقون ، مبلبلو الحاطر ، أو أنهم خصوم » . في حين أن الإشاعات المتفائلة السارة
أى « إشاعات الأحلام » تهدف إلى التهدئة والإقراط في الثقة ، وكلا النوعين قد

يدلأن على أن الروح المعنوية منخفضة . لأن إشاعات الأعلام تجعل المرء كثير الحساسية بها قليل الحساسية بالحقائق الواقعة .

وإن الإشاعات التي تسود جماعة معينة تدل على مبلغ القوة والثقة في صحافتها وإذاعتها ، فإذا ذاعت إشاعات ذات خطر ، دل ذلك على أن الجمهور لا يحصل على القسط الكافي من الأنباء من مصادره الرسمية ، أو أن الناس قد فقدت الثقة بهذه المصادر .

وتنتشر الإشاعات بسهولة في الجماعات المنحجسة ، حيث يتشابه الشعور كالطوائف والأحزاب ، والمدن ، والجيوش .

والحرب تؤلف بين الناس إذ تربط الأمة المحاربة برباط مشترك عميق الأثر ، فالقوم جميعاً يشتركون في الأمل بالنصر ، والخوف من الهزيمة ، والإحساس بالإخفاق لانفصاحهم وبعدهم عما يجنون . وكذلك في خصومتهم للعدو ، ولكل من يهددهم باحتمال وقوع الفشل . فالإشاعة التي تعرب عن هذه العواطف يسهل إذاعتها حتى تبلغ جميع الآذان .

وإن قلة الأنباء عن الأمور التي تهتم الجماهير مما يروج الإشاعات ، فإن الناس تشد المعلومات عما يهمهم من الأمور ، وكلما زاد اهتمامهم كلما ازداد طلبهم للمعلومات وحينما تطبق الرقابة المدنية في شدة أو تقل مصادر الأنباء . مع زيادة الاهتمام - كما يحدث إبان الحرب - فإن الصحف تلجأ إلى الإطناب في سرد الأنباء النافهة إرواء لتعطش الجمهور . عندئذ تسرى الإشاعات وتنتشر . فإن الناس يطلبون الأخبار مهما كانت ومهما كان موضوعها . إنهم يقبلون أي نبأ له شكل المعلومات ، ولا يملكون في هذه الحالة الحقائق الواقعية التي تناهض الإشاعات الكاذبة ، وتقضي عليها . وبالتالي تنوقف قوة الروح المعنوية في الجنود جزئياً على المعلومات التي يحصلون عليها فيما يتعلق بمصيرهم ، أو فيما يحتمل أن يكون عليه مصيرهم .

فالجندي ينشد الأخبار - الأخبار الطيبة في أغلب الأمور - ولكن الأخبار السيئة أفضل عنده من الحيرة والشك !

يجب أن يعرف المواطن حالة الحرب الحارية في كل جبهة ، ويجب أن يعرف أبناء الانتصارات وأنباء الهزائم في صراحة وصدق . فقد يحدث أن ترفع الهزيمة من الروح المعنوية في الأمة ، مثلاً حدث حينما أذيعت كارثة بيرل هاربر في أمريكا .

وأن عالماً نفسانياً بريطانياً قد صرح بأن العامل الجوهرى فى سمو الروح المعنوية فى بريطانيا عقب « دنكرك » هو شعور سكان الجزر البريطانية بأنهم يعلمون كل ما يجرى هناك من الأمور وليس يحق عليهم شىء .

وإن مجرد وعد « تشرشل » لهم : بالدم ، والعرق ، والدموع ، قد رفع الروح المعنوية فعلاً . فالشك — أعنى نقص الأخبار أو عدم الثقة فيها — بسبب سبق إذاعة أنباء زائفة ليس له أثر محمود فى الروح المعنوية .

ويختلف الناس فيما يتعلق بنادج الإشاعات التى يصدقونها ، وبمبهم فى ترديدها ونقلها إلى غيرهم ، فالمتشائم يكون مستعداً لقبول الإشاعات المزعجة على حين يقبل المتفائل ما يحمل فى طياته الأمل .

وكل من الكسول والملول ، والمتعطل ، والمضطرب الحياة ، يكون على استعداد لقبول الإشاعات وإذاعتها إذ يجد فى ذلك تسلية ، وهوا ، بل ترجية للفراغ ، وتخفيفاً للملل .

أما البواعث النفسية لنقل الإشاعة فهى معقدة غالباً ، ومع هذا فيوجد منها ما يعد نموذجياً ، ويشمل ذلك مطالب المرء وحاجاته بجانب بواعث البغض ، والخوف ، والأمل نذكر منها البواعث الآتية :

(١) التظاهر (exhibitionism) وهو عبارة عن جذب الانتباه إلى شخص المتحدث ، فقد يروى الإشاعة قاصداً بها رفع قدره فى نظر الآخرين ، أو ليحملهم على الاعتقاد بأنه عظيم . لأنه « علم بما هناك » ، أو يروى الإشاعة مجرد « الدردشة » وبجاذبة الحديث ، أو بقصد اللهو والسمر .

(٢) توطيد الثقة بالنفس ، والحصول على التأييد العاطفى « فى هذا السياق تروى الإشاعة على أمل أن يقوم السامع بتكذيبها ، أو أن لا يوافق عليها ، أو قد يكون فى التحدث بالإشاعة ما يخفف عن راويها وطأة التوتر النفسانى . إذ يشرك غيره فى مقاسمته حمل العبء ، وفى هذه الحالة يكون غرضه اكتساب عطف الآخرين لاسماع تكذيبهم لإشاعته .

(٣) البروز (projection) يروى المرء الإشاعة حيث يشعر أنها تنأى به عن المخاوف وتظهره عليها وعلى العداوات التى لم يكن فى وعيه علم بوجودها فى قرارة نفسه .

(٤) العدوان (aggression) قد ينقل المرء الإشاعة بقصد إيقاع الأذى

بشخص معين ، وقد يشترك في نعمة أو ثروة اغتياث أو في خلقت « كبش الفداء » .
(٥) إسداء المعروف . وقد تنقل الإشاعة ابتغاء المجاملة الودية . أو الميل إلى صنع الجميل إلى السامع . وتبدأ الرواية في صورة ملاحظة يقصد بها المجاملة دون أن يكون لها أساس - أو لها أساس نافه - من الصحة ثم لا تليث مع تداول الحديث أن تتحول إلى حقيقة مقررة .

ولا مرأى في أن رقابة الأنباء تنقف حائلا دون نشر الأنباء الهامة فتهيئ السبيل بذلك إلى نشر الإشاعات ، وكلما كانت الرقابة صارمة دقيقة كثرت الإشاعات التي تعمل على هدم الروح المعنوية ، أما إذا كانت الرقابة معقولة رقيقة فلا تروج الإشاعة أو تضر بالروح المعنوية .

ولا ريب في أن الرقيب بين نارين ، فإذا هو صرح بشئ قسم كبير من الأنباء فقد يستفيد العدو من ذلك فائدة ليس من الحكمة أن يحصل عليها ، وإذا منع الرقيب نشر الأنباء فإنه يلحق الضرر بالروح المعنوية لبلاده لهذا فواجبه أن يختار موقفاً وسطاً بين هذين التقيضين .

ومن المدهش أن الإشاعات التي نسمعها اليوم على اعتبارها أنباء جديدة ما هي إلا من قصص الأقدمين ، لكنها أتشحت برداء العصر ، فإن الإشاعات تشبث بالبقاء ، حيث إنها تشبع رغبة في الإنسان ، فتعبر عن مخاوفه ، وآماله ، وخصوماته وهذه الرغائب والمطالب لا تتغير ، وتظل كما هي جيلاً بعد جيل .

وقد تكون هناك أسباب تعطي هذه الأنباء صفة الدوام والاستمرار فتظهر في الوجود عاماً بعد عام في السلم والحرب وذلك لأنها موجزة قصيرة يسهل تذكرها ونقلها وروايتها بجانب كونها لطيفة مستحسنة ، ليس لها أثر عميق في النفس وأنها من النوع الذي لا يمكن التحقق من صحته .

والإشاعة كباقي الصور الأدبية التي يتوقف انتقالها من جيل إلى جيل على ما لها من صفات تسترعى الانتباه كأن تتضمن السخرية اللاذعة ، أو الأثر الأخاذ ، أو المفارقة الملتوية المفاجئة ، مثل الكلمة القائلة : « بأن انجلترا ستحارب إلى آخر جندي فرنسي » .

وما يساعد على نشر الإشاعة ما تضمنته من روح الفكاهة . إن كل إنسان تسترعيه الفكاهة الباردة ويحفظها في ذاكرته ، ويرويها لغيره مثل النكتة الأمريكية القائلة : « إن البريطانيين لم يستطيعوا استخدام الدبابات الأمريكية لأن الأمريكيان

لم يضعوا فيها جهازا يجعلها تسير إلى الخلف « ! . والقصد من ذلك أن الأمريكان في زحفهم إلى الأمام لا يتراجعون كثيرهم إلى الوراء . إن الأمريكان يتسمون بهذه السخرية ، ويرددونها حيث إن ظاهرها فكاهي . كما أن فيها روح التحيث الخفي . إن راوى الإشاعة يصبح مشابهاً لها ، ويكره أن يتسرب إليها الشك ، ولذا فهو يلتزم الاستحسان لها عند إلقائها . والإشاعة في المرحلة الأولى تعزى عموماً إلى مصدر جدير بالثقة . ثم إلى ضابط كبير في رئاسة الجيش ، أو إلى وزير . أو وكيل للوزارة . إن صيغة التوكيد تيسر للإشاعة الظهور في ثوب الخشيفة . ولو أن راويها لا يقول عنها إلا أنها مجرد إشاعة فيقول : « لقد سمعت ما سأروي به ولكني لا أجزم بصحته » أو يقول : « لا أخفى عليك إنى لا أصدق ما سوف أقوله لك . ولكن الناس كلهم في المدينة يقولون . . . » . إن هذه الصيغ تعنى راوى الإشاعة من الشعور بالتبعية . وتجعله يرويها مطمئناً دون أن يحس بتأنيب الضمير ، لما احتوته من كذب أو إسراف في المبالغة . كما تهيء له الفرصة لتسويق القصة والمبالغة فيها . وإضافة بعض التفاصيل إليها حتى تصبح أكثر استرخاء للسامع .

والمعروف أن الأسماء ، والأرقام ، والأماكن . هي في العادة من مشخصات الإشاعات التي ليس لها استقرار . فإن هناك إشاعات عديدة تتداولها الألسن في بلدان مختلفة عن قصة جوهرها واحد بالذات ولكن كل راوٍ من روايتها يدخل عليها الأسماء والأماكن التي يألؤها بنو قومه .

ومن عادة الإشاعات أنها تزداد تكتلاً وتجسماً ووضوحاً مع التداول على الرغم من غموضها في بادئ الأمر ثم إن الإشارة إلى أشياء مادية يزيد في سهولة حفظ الإشاعة وبقائها في الذاكرة وإعادة روايتها بينما الإشارة إلى الأشياء الغامضة يعرض الإشاعة للنسيان والتحوير .

الإشاعة ، كما قدمنا ، هي أمضى أسلحة الحرب السيكولوجية وأقواها . فهي تطرق الأذن بلا استئذان ، دون أن تظهر عليها مسحة الدعاية المقصودة ، إنها تصل إلى مسامعنا بقوة دفعها الذاتية . والسامع لا يتحرى الصحة أو يبحث عما يؤيدها . حيث إن راوى الإشاعة لم يقل إن هناك أدلة تثبت صحتها . إنه يروي ما سمعه لا غير . ولذا فإن تصديق الرواية أسهل على المرء من عدم تصديقها . وخصوصاً إذا دعم الإشاعة الخوف أو الأمل .

وتستخدم الإشاعة في الحرب السيكولوجية أو حرب الكلام بالطرق الآتية :

(١) التخويض - تستطيع الإشاعة أن تتوغل الروح المعنوية تماما . فعند سقوط فرنسا عام ١٩٤٠ قضى الألمان على الروح المعنوية بأسلوبهم الذي كان يقوم على بث الإشاعات المتشائمة . تعقبها إشاعات متفائلة . فاستمر الفرنسيون في غضون الارتباك الذي أحدثه الهجوم الألماني . يتراحون بين الأمل واليأس . ويتقبلون ذات أيمن وذات اليسار ثم بلغوا المرحلة التي أمسوا فيها حيارى ما بين مصدقين ومكذابين وأفضى بهم ذلك في نهاية الأمر إلى جو من الشك مظلم : ارتياب قاتل . وارتباك شامل ! وبدأ المشتغلون بالدعاية في تحرى النقط الضعيفة في الخلق الوطني للأمة . ثم يتنون الإشاعات التي تؤدي إلى إضعاف الوحدة القومية وتدميرها . (فكان يقول الألمان للأمر بكان : ، إن الحرب هي حرب استعمارية لانجلترا وفرنسا للدفاع عن مستعمراتها الشاسعة ، وإن مجهود ألمانيا هو تصحيح هذا الإجحاف) . أو يعمل الداعية على توسيع شقة الخلاف بين الطوائف كالتخلاف بين العمال وأصحاب الأعمال بإشاعة الريبة والشك كأن يقال إن العمال ينالون من الأجر أقل مما ينبغي . في حين أن أصحاب الأعمال يربحون أكثر مما ينبغي . أو إثارة الفتنة بين طائفة دينية وأخرى في الأمة . أو تأييد أقلية نشيطة مزعجة فيها . وفي كل هذه الأمور تلعب الشائعات الخفية ، والأراجيف المذاعة دورا رئيسيا هاما . وبهذا يمكن القضاء على التعاون الذي لا غنى عنه ، بمجرد بث الشكوك التي ظاهرها معقول . والإشاعة لا تقدم دليلا على أي شيء . إنها تستند غرضها ، وتؤدي عملها ، بمجرد إثارة الريب والشكوك !

(٢) استخدامها كستارة من الدخان - تستطيع الإشاعة أن تحجب الحقيقة .

فن الأصول الفنية أن يوضح كل داعية بطائفة من المعلومات التي لها صفة السرية ، حتى يتعذر على المستمعين أن يتبينوا في هذا الفيض من الأنباء السرية المتضاربة حقيقة السر أو ما هو سرى حقيقة . لقد يز الألمان غيرهم في التمكن من هذا الفن ، فكانوا يسمحون بتسرب كثير من الأنباء السرية المتناقضة من داخلية بلادهم إلى البلدان التي يهدفون إلى بلبلة الأفكار فيها .

(٣) للحظ من قيمة مصادر الأنباء - وهذا من الأصول الفنية الخاصة .

ونذكر على سبيل المثال : أن البريطانيين سنة ١٩٤١ حاولوا تدمير محطة برلين بقنابل الطائرات ولكنهم لم ينجحوا فعند الألمان على إذاعة أنباء قالوا إنها من مصادر لا يقطع بصحتها ، بأن البريطانيين قد أفنحوا في محاولتهم تدمير محطة برلين . فلما وصلت هذه الإشاعات إلى بريطانيا قبلها البريطانيون على أنها تأييد لنجاحهم في مهتهم فأذاعوها

على الأثير . فما كان من وزارة الدعاية الألمانية إلا أنها دعت مراسلي الصحف الأمريكية إلى المكان الذي أشار إليه البريطانيون ليقيموا الدليل على كذب الادعاء البريطاني . وليدلوا على أن الأنباء التي تديعها الإذاعة اللاسلكية البريطانية غير موثوق بصحتها .

(٤) في صورة طعم - قد تذاق الإشاعة فصد الوصول إلى معرفة الحقيقة . كأن تذيع إحدى الدول الحاربة أنباء عن خسائر العدو في معركة من المعارك وذلك لاستدراجه إلى إذاعتها للوصول إلى معرفتها . ولو أن رفض الدول الحاربة البوح بهذه الخسائر على وجه الدقة ، مهما كانت طفيفة ، قد يؤثر في الروح المعنوية إلا أنه إجراء سليم من الناحية العسكرية حيث لا يقعها في الفخ الذي نصب لها .
وختاماً فإن هناك بعض القواعد إذا استخدمها القائد أو غيره مما يريدون السيطرة على الإشاعات أمكنهم بلوغ ذلك وهي قائمة على أصول علمية مجربة :

(١) وطد حسن الثقة في البلاغات الرسمية - فإذا فقد الجمهور ثقته في صدق البلاغات الرسمية التي تصدرها الصحافة والإذاعة نشأت من جراء ذلك الإشاعات وانتشرت في كل مكان .

(٢) تم الثقة في الزعماء والقادة - قد يستطيع الناس الصبر على الرقابة ، وقلة الأنباء إذا اعتقدوا أنهم لا يزودون بأنباء كاذبة ، وأن الأنباء التي تحجز عنهم إنما تحجز لأسباب وطنية وجيبة . وهذه القاعدة تتناول الزعماء من رئيس الحكومة إلى أقل موظف في الدولة ، ومن قائد الجيش إلى قائد الفصيلة .

(٣) أذكر لهم أوفر عدد من الحقائق الممكنة - دح الإذاعة والصحافة تروى أكبر قدر ممكن من الأنباء الحاربة مع مراعاة عدم إعطاء العدو أنباء ينتفع بها . إن الناس يطلبون الحقائق فإذا عزت عليهم تلفظوا بالإشاعات .

(٤) قاوم مروجي الإشاعات - وجه كل مجهودك ضد الإشاعات ، عاملاً على كشف حقيقة ما يداع منها ، وفند دعاية العدو ، وأخفض من قيمتها بإبراز الأدلة على بعدها من الدقة ، ومجاورتها للصدق ، ثم صور مروجي الإشاعات في صور ساخرة ، مضحكة ، لاذعة .

وفي الجيش يمكن أن توضع لوحة خشبية تسجل عليها الإشاعات . فيضج منها بعد مرور فترة قصيرة أن صائفة من هذه الإشاعات أصبحت يناقش بعضها بعضاً وأن كثيراً منها قد ثبت كذبه بعد نشر الأنباء الصادقة . وهناك أيضاً ما يسمونه

«عبادة الإشاعات» التي يجمع فيها كل ما يندفع من الإشاعات التي ترددها ألسنة الجمهور وبخاصة الإشاعات التي يتحمسون لها ويهتمون بها في سائر الأندية والأماكن. وهناك بروى ما لا يحصى من الإشاعات النافهة. ثم تقوم العبادة بالتحري عن صحة تلك الإشاعات ثم تنشرها نافية لها، أو مصححة تحريفها، أو كاشفة كذبها. عندئذ يسخر الناس منها، ويستهزئون بها.

وبدهشني أنه توجد في الجيش المصري نفس العبارات تقريبا التي تكافح بها الإشاعة في الجيش الأمريكي والإنجليزي والتي توجه إلى مروجي الإشاعات في داخلية السلاح... بل إن علماء النفس العسكري في أمريكا يرون أن يشجع توجيه هذه العبارة وهي: «هل سمعت هذه الإشاعة من بوليس الأدبجاعة؟» وفي أمريكا يقولون: «من أي مرحاض وصلت إليك هذه الإشاعة؟»

وأخيراً فإن في حالة فورة العواطف، وثورة الأفكار، وقلة مصادر الأخبار التي يوثق بها لا يكون في مقدور إنسان أن يقف في وجه الإشاعات أو أن يصد تيارها. تلك حقيقة لا تقبل الجدل، ولقد أطلق بعض الصحفيين المفرضين الأجانب على القاهرة إبان الحرب العالمية الثانية أنها «مدينة الإشاعات»..

وفي الحق أنه يمكن أن تطلق هذه التسمية أيضا على باريس، ولندن، وواشنطن إبان الأزمات التي صادفها خلال الحرب. فإن الإشاعات كانت تروى في إنجلترا نفسها، وتصل إلى آذان رئيس الحكومة «مستر تشرشل» في صور حكايات ووادد وكان يعلق عليها ويسخر منها بروح الفكاهة التي يتميز بها.

والواقع أن حياة الفراغ، والتبطل التي قد تبدو ظاهرة في قهوات القاهرة الكثيرة العدد، لتجعل مجال القيل والقال، واسعا فسيحا، وقد يحدث فعلا أن يهبط بعض الصحفيين الأجانب السطحين ويجلسون في شرفات الفنادق حيث يستمعون إلىثرثرة الفراغ فإذا خلوا إلى أنفسهم سجلوا ما يتلقفونه منها في كتبهم أو صحفهم التي تنشر في الخارج بين الأصدقاء والأعداء على السواء، ومصدر هذه أشخاص قد يكونوا أبرياء أو غير أبرياء ولكنهم قد ألحقوا بوطنهم إساءة بالغة.

روى «دافيدج. جاكوبسن» الأمريكي الذي توفر على جمع وإحصاء بضعة آلاف إشاعة متداولة ثم بحثها من ناحية الغرض، والتأثير، والمصدر، حتى يمكن للجمهور بهذا البيان التحليلي أن يحذر الإشاعة وأن يرفض ترددها وأن يتحري منبعها ويكشف زيفها. لقد ذكر في كتابه هذه الواقعة الطريفة، الجديرة بالتأمل:

« كان مصنع (فابريكة) الإشاعات المختارة (زوجة) ضابط محترم كفاء من إخواننا الضباط ! وكانت بعض قصصها آية مقدسة في الصدق لأنها كانت تقول : بأن السيد فلان سمعها شخصيا من الوزير فلان (تذكر اسمه) ... وأضاف المؤلف بأنه لو صدرت هذه الإشاعات من خبراء العدو المختصين في الحرب السيكلوجية لاستحقوا عليها تقديرا وثناء !

ومع هذا فقد كانت هذه السيدة تلهب وطنية ، وكان لها صلوات قرابة بستة أو ثمانية ضباط يتولون مناصب هامة في السلك العسكري ، ولكنها كانت تعمدل وحدها اثني عشر رجلا من رجال الطابور الخامس الألماني ، إذ أن شقشقة لسانها هذه قد فعلت فعلها الخطير في الروح المعنوية لجهة الوطن الداخلية ! » .

إن الوقت لم يأن بعد لتناول ألوان الإشاعات التي أذيعت بين أهالي فلسطين ، إبان الحرب الماضية بالدرس والتحليل ، فصانعوها لا شك من بين تلك الفماذج التي أشرنا إليها من المتبطلين الذين يتشدقون بما يتلقفونه من أباطيل ، وهي لا تخرج في مجموعها عما يحدث في أية بقعة من بقاع العالم ، بل تشبه الإشاعات التي تدفع الناس إلى اتخاذ خطوات عملية كما حدث في فرنسا في الحرب العالمية الأولى والثانية .

فإن هذه الآلاف من اللاجئين في فلسطين كانوا ضحايا الإشاعة التي اصطحلوا على تسميتها « إشاعة الذعر » التي تتواتر في صورة أنباء عن اقتراب جنود العدو ... وخطر هذا النوع حقيق ومدموس وسريع . حيث أن المستمع لها يحاول أن يتخذ الإجراءات السريعة التي براها ضرورية وتكون إجراءاته أيضا في صورة مفاجئة وعنفية فإنه يهرع فيحزم أفضل أمتعته ويضعها على جمل أو دابة أخرى ثم يصحب عائلته معه ويحج مسرعا مبتعداً عن المدينة . فيصبح هو نفسه بهذا العمل « إشاعة » يتحدث عنها الناس ثم تتحول الإشاعة إلى حقيقة حين يرويه ماضيا أمامهم فيعقدون النية هم أيضا على الرحيل . ولا يلبث الركب أو القافلة السائرة في الطريق أن تعبر إشاعة من أقوى الإشاعات بل يصبح رمزا مرثيا لا يحتاج إلى تعليق أو تفسير . وكل فرد ينضم إلى الركب ، وهكذا يتولد الذعر . أما أثره في العمليات الحربية ، وعيته على الإدارة ، وإعاقته للتفليات فأمر غني بنفسه عن البيان ...

ومأساة اللاجئين في فلسطين برزت على مسرح الإشاعة . وقد أفادت إلى حد ما تلك الحركة المضادة التي قام بها « الحاكم العام » الهنلي المصري في بث دعائه بقولون لأهالي البلاد : « إني أحذركم من مروجي الإشاعات . ما هم إلا عملاء للعدو اندسوا

بينكم ليشيعوا في نفوسكم الطمع والذعر ، يغوثكم الفتنة . وفيكم سمعون لهم « وما كنت أظن أن تؤتي هذه الشائعات ثمراتها ونحن بينكم ندود عن حياضكم وندفع العدو عن عنكم فهل تخلى عنكم إيمانكم بالله ، وثقتكم في نصره الذي وعد به عباده الصابرين المجاهدين في سبيله (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) » وفي إذاعة أخرى يقول لأهالي غزة : « مالي أرى القوم وقد تبليت أفكارهم وشذوا رحلم . وهاموا على وجوههم . وغادروا بلادهم على عجل لا يلوون على شيء إلا القوار من ديارهم » وإذا نساء لنا عن سبب ذلك لن نجد جواباً اللهم إلا ضعفت إيمانهم ووهن عقيدتهم . بل قل هي الشائعات المغرضة التي ينشرها بينكم دساسون مأجورون .

« فهل لكم يا أبناء العروبة الأجداد أن تكفوا عن الرحيل وتذكروا بنس المصير حيث الشتاء والمطر والبرد ويسرنى أن أؤكد لكم أن غزة هي موطن الأمان وأن الجيش المصري حاميا من كل عدوان ، كما أؤكد لكم أن قوتنا لن نتسحب من غزة قيد أنملة وأنها عازمة على أن تبقى رابضة فيها لتدود عن حياضها » .

هذه ناحية هامة من النواحي التي لعبت فيه الإشاعة دورها فشردت نحو ثلاثة أرباع المليون لاجئ ، ولعل العدو لم يكن له فيها عمل منظم جدى بل هو نفسية الجماعات وتواتر الإشاعات منهم إليهم .

وهناك أساليب أخرى من حرب الكلام حاول العدو بها أن يبعث المخاضرين في الفالج على الاستسلام ، فأذاع جملة شائعات عن بعض الشخصيات والقوات ، ولكن القائد المحلى كان يرجع إلى الرياضة باللاسلكى (مستخدماً الشفرة طبعا) ليثبت زيفها بخنوده . وقد فشلت هذه المحاولة لأن العدو استخدم الكذب وحده غاية ووسيلة . ولم يكن لديه معلومات كاملة عن حالة القوات المصرية وعن اتصالاتها برياستها في غزة ، فقد أذاع العدو أن قائد الكتيبة التاسعة قد قتل وأيدت كتيبه على بكرة أبيها ثم أرسل صورته من بطاقته الشخصية التي التقطها مصادفة أثناء المعركة . وأرسلها كدليل على أنه قتل . ولكن قائد الفالوجا حين اتصل بالرياضة عرف أن الإشاعة لا أساس لها من الصحة ، وتكلم مع صاحب البطاقة شخصياً بالتليفون اللاسلكى وكان لهذا الحادث أثر حاسم في إشاعات العدو .

أحمد شوقي عبد الرحمن

المراجع

1. "Psychological Warfare" by Paul A. Linebarger.
2. Psychology for the Armed Forces.
Prepared by a Committee of "The National Research Council"
edited by Edwin. G. Boring.
3. "Military Psychology" by Norman C. Meier.
4. "The Affairs of Dame Rumour" by David J. Jacobson.
5. Makers of Modern Strategy. Edited by Edward M. Earle.
6. "Public Opinion and Propaganda" by Leonard W. Doob.
7. "Persuade or Perish" by Wallace Carroll.

Summary

RUMOUR

By

Brigadier PSC Ahmed Shawky Abdel Rahman Bey

Rumour is mouth-to-mouth communication of unconfirmed stories and anecdotes. It is one of the most formidable weapons of the psychological warfare.

Historians believe that Genghis Khan effected his Mongol conquests with 'limitless herds' of wild Tartar horsemen, who flooded the world by weight of sheer numbers. Recent research shows that the countryside of inner Asia could not possibly have produced such a multitude. It has transpired that he was a master-genius in the art of psychological warfare. He had no doubt surpassed whatever the Germans, Russians and Americans had achieved in this field during the Second World War. He applied by instinct the technical principles which we now call the "Black Propaganda" with marvellous skill. He used espionage to plan his campaigns and deliberately used rumour to exaggerate accounts of his large numbers, their stupidity and ferocity.

Genghis even used the spies of the enemy as a means of frightening the enemy. When spies were at hand, he indoctrinated them with rumours concerning his own forces, their overwhelming strength, their ruthlessness, endurance and obedience to their officers. The spies conveyed the information faithfully to their people; thus the battle was won before it was fought.

If the gifted leaders of the past had employed rumour as a weapon of psychological warfare without reading a word of Freud or Pavlov, psychology makes it possible, in modern times, not only for the able but for the ordinary officer to calculate his persuasion systematically and to obtain the same results without being a genius or endowed with mystic power of intuition. The psychologist can bring to the attention of the soldier those elements of the human mind which are usually kept out of sight. He can show him how to convert lust into resentment, individual resourcefulness into mass cowardice, friction into distrust and prejudice into fury.

Defeat in war is ultimately a conquest of the mind. Marshal Foch said. "A battle won, is a battle in which one will not confess to oneself being beaten".

The object of killing the enemy and making him suffer is to force him to surrender or to change his attitude of mind so as to relinquish his determination to resist and predispose him to accept defeat. This can only be achieved by launching beside the physical warfare a psychological warfare. Its objective would be to prepare the enemy by means of argument, suggestion, enlightenment, delusion and other indirect means to surrender. It is to shake his morale to the extent of believing that the pursuance of war is more harmful than defeat.

The Germans had mobilized their scientists and more particularly the Psychologists and created a Staff Headquarters for Military Psychology beside the military operations headquarters. It had sections devoted to "Offensive Morale" and to "Defensive Morale". The objective of the first was to destroy the enemy's morale by means of propaganda, employing the native differences in their psychological attitudes and motivation. The second was concerned in fostering the morale in the military and civilian German population.

Rumour is employed in the psychological warfare for the following purposes :

1. For disruption. It is capable of destroying the morale. The Germans have employed it in France after its surrender in 1940 and they were very successful.
2. As a smoke-screen. It can be employed as a screen to cover the facts and thus mislead the population.
3. To discredit news sources.

4. As a bait. False news can be dispersed in order to induce the enemy to deny them and issue the correct news.

There are certain tested counter-measures to propaganda:

1. Accustom your public to trust the official reports, by being truthful, as far as security permits.
2. Develop faith in the public and military leaders, by offering the proof.
3. Announce the greatest possible amount of the prevailing facts.
4. Fight the rumour-mongers.

Time has not come yet to disclose the rumours which were scattered in Palestine during the recent campaign. Thousands of the refugees fled from their homes as result of what is called the "panic rumours".

This kind of rumour however incite to action. It happened in France before Palestine. It comes as reports of the approach of enemy troops. With them the danger is real, palpable and immediate, for the listener tends to do something about it suddenly and violently. He packs a few of his most cherished possessions on a camel, collects his family and starts out of town away from the enemy. Then he himself becomes a rumour, and the rumour becomes a fact, for people see him going and decide to go too.

Many a rumour was spread by the Zionists with view of intimidating the Egyptian force besieged at Falouja and inducing them to surrender, but the Commanding Officer was on the alert. He secured the truth from the headquarters by wireless (using secret code). Once the Jews dispersed the news that the Officer Commanding of the 9th Egyptian Battalion has killed and his troops annihilated. As evidence of their truthfulness they produced a photograph of said officer's identity card. But it was proved that the news was a lie. The Falouja Commander was able to speak by radio-telephony to the alleged dead commander. It turned out that the latter had accidentally lost his identity card in the battle field. Then the Falouja Commander was able to thwart the false rumour.